الأدب والتمرُّد

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر

إلى روح أستاذينا شكري عيَّاد وأمين الخولي

التمرُّد الأدبي يعني أن يتمرد الأديب على شكل ما أو عنصر ما من عناصر النوع الأدبي. وهذا يستتبع بالضرورة أن يكون قد هضم هذا الشكل أو العنصر واستوعبه جيدا بحيث يدرك أوجه قصوره وكيف أنه لم يعد قادرا على أن يلبي الحاجة التعبيرية الحالية للأديب. أن تتمرد يعني أن تستوعب كل ما سبقك وتحاول التعبير من خلال إطاره فتجده غير قادر على أن يوفي رؤيتك الأدبية حقها، ومن هنا تفكر في تطوير هذه الأشكال أو العناصر أو الأساليب من داخلها، لا أن ترفضها لمجرد أنك لا تستوعبها أو أنك لم تطلع عليها أو أنك لا تجد الوقت للإلمام بها وهنا تجد نفسك في نقطة الصفر وتعرض نفسك للسخرية من القارئ .

هناك شكليات متعلقة باللغة لا يمكنك التمرد عليها مثل استعمال علامات الترقيم وبناء الجملة والتشكيل وأدوات التعريف والتنكير ومعظم القواعد اللغوية، لأنها هي التي تم التعارف عليها بوصفها أدوات للتعبير ونقل المعنى اللغوي. لو استعملت الفاصلة

المنقوطة محل الفاصلة مثلا، ستقع في خطأ لن يغفره لك أحد لأن كل منهما له وظيفته وإذا تبدل ستتبدل الوظيفة ويتبدل المعنى وسيحدث خلط ولبس بالتأكيد لدى القارئ وأول تفسير منه سيتمثل في أن هذا الكاتب جاهل لا يلم بأدوات لغته .

ونفس الأمر بالنسبة للسرد، فقد تتغير وظيفة السرد وغاياته وحتى شكله، لكنه يظل عنصرا أساسيا في النصوص التي تتخذ السرد عنصرا يمدها بهويتها ويميزها عن الأنواع الأدبية الأخرى.

المنجزات التي تم الوصول إليها أوو تحقيقها في نوع أدبي ما تصير أقرب للمسلَّمات في هذا النوع. السرد الأخلاقي مثلا الذي كان يستعمل السرد لمجرد توصيل قيمة أخلاقية أو التعبير عن فكرة لم يعد له مجال في الأدب الحديث. ولذلك عندما يعود الكاتب إلى جعل النص السرد وسيلة للتعبير عن مغزى أخلاقي مباشر، لن يكون نصه أدبيا.

اختلاف وسيلة التعبير وبيئة التعبير يؤثران على شكل التعبير ذاته. الثقافة الشفاهية لها وسائلها التي تختلف بالتأكيد عن وسائل الثقافة الكتابية. عندما يكون المؤلف حاضرا بجسده وسط جمهور ويتناول موضوعا يعرف هذا الجمهور أبعاده، يمكنه أن يتجاهل بعض عناصر الموضوع لأنها معلومة بالضرورة لكل أفراد هذا الجمهور. أما عندما يتحرر النص من سلطة المكان وسلطة الزمان

obeikandi.com

في النص المكتوب، فلابد أن تكون كل عناصره التي تضمن بقاءه موجودة فيه.

الأدب بطبعه نوع من التمرد، لكنه تمرد واعٍ يقوم على معرفة وثيقة وتفصيلية واستيعابية لما يتم التمرد عليه. عندما نشرت "فتافيت الصورة" في 2001 وكنت قد كتبت نصوصها في السنوات العشر السابقة على تاريخ النشر، كانت معظم قراءاتي كلاسيكية ومعظم النصوص التي كنت أقوم بدراستها وتحليلها بحكم عملي ودراستي كلاسيكية أيضا وكنت أستوعبها جيدا، لكنني عندما بدأت الكتابة كنتُ أشعر بأن هناك شيئا ما ناقصا في هذه الكتابات الكلاسيكية وأنني لا أستطيع أن أعبر عن عالَم أكبر مني ولا أستطيع أن أتفاعل معه إلا جزئيا إلا عن طريق النصوص القصيرة جدا التي تقتنص زاوية ضيقة أو صغيرة للنظر هنا أو هناك دون أن تستطيع أن تحيط بهذا العالم علما أو دراية شاملة. أظن أن الومضة القصصية والقصة القصيرة جدا تنبع من هذه الزاوية.

أن تخطأ في اللغة أو تستعمل تعبيرات لغوية مباشرة تهدف إلى نقل فكرة مباشرة، أو تسيء استعمال أدوات الترقيم أو لا تستوعب إطار الشكل الذي تكتب فيه أو تتعالى على التعليقات التي تشير إلى خطأ بيِّن - فهذا جهل ولا علاقة له بالتمرد .

التمرد من الخارج وقوف على الشط دون تجربة ولا يُعتَد به.
التمرد من الداخل يتم بناء على خبرة ومعرفة ودراية واطلاع وقراءة وهضم واستيعاب وإدراك لجوانب القصور، وهو الذي يستحق اسم التمرد لأنه لا ينم عن جهل.

obeikandl.com